



المسيح الموعود رائد التجديد في الأدب العربي وابتكار فن المعارضة النثرية في تناصه مع الحري والهمذاني

تميم أبو دقة

ألف الإمام المهدي والمسيح الموعود زهاء ٢٢ كتابا باللغة العربية الفصيحة والبليغة، قدّم فيها مبادئ الإسلام الحقّة وتعاليمه السامية، وضمّن بها آلاف الآيات من الأشعار الرائعة في العرفان الإلهي ومدح النبي ﷺ وإظهار مزاياه العظيمة ومدح الإسلام والقرآن الكريم. لقد تجلّت في هذه الكتابات آية عظيمة؛ وهي التعلّم الإيماني لحضرتة لأربعين ألفا من اللغات العربية في ليلة واحدة، إذ علّمه الله تعالى الجذور والنحو والصرف والأساليب والتراث والشعر والأدب والأمثال والثقافة العربية واللهجات العربية الفصيحة المتنوعة. ولقد ظهر هذا التعلّم في قوة لغته التي تحدّى الخصوم مرارا للإتيان بمثل كتاباته وعجزوا عن ذلك، كما تجلّى في تطعيم كتاباته وأشعاره بالتراث العربي ومُلجّه، بل وفي تجديد اللغة وربطها بتراثها، بل وفي إنشاء حركة للحفاظ على التراث العربي واستدامة ربط ماضيها بحاضرها معاكسا بذلك تيارا كان قد ساد في العالم العربي وسعى إلى تسطيح اللغة بل وإهالها والتخلي عنها، بل تقدّم درجة بإعلان أن الله تعالى قد علّمه بأن العربية هي أمّ الألسنة وأعظم لغات العالم بلا منازع، وقدّم الأدلة العديدة على ذلك وتحدى بها. وفي المقالات التالية سيتضح جانب من أعمال حضرتة ومظاهرها، كما سيُرَدُّ تلقائيا على الاعتراضات حول اللغة العربية وعلى رأسها الاتهام بالسرقة من كتب الأدب العربي كالحري والهمذاني وكذلك من الشعر الجاهلي.

أيضا كتب معارضة لسينية البحتري.
أما النقائص فأشهرها نقائص الفرزدق
وجرير. ومن أشهر أبيات النقائص
المعروفة بينهما ما قاله الفرزدق:
إنّ الذي سمك السماء بني لنا.....
بيتا دعائمهُ أعزُّ وأطولُ
فرد عليه جرير:
أخرى الذي سمك السماء مجاشعا.....
وبني بناءك في الحضيض الأسفل

المعارضات والنقائص أن المعارضات
تكون في نفس الموضوع ولا يحاول
الثاني نقض الأفكار التي لدى الأول،
أما النقائص فتحتوي على نقض الأول
أو على الأقل تتناول موضوعا آخر.
وقد عرف الأدب العربي معارضات
كثيرة، وأشهرها قصيدة البردة
للبوصيري التي عارضها عدد من
الشعراء ومنهم أحمد شوقي أخيرا، الذي

شهد الأدب العربي في
الجاهلية، ثم ابتداء من
العصر الأموي خاصة،



بروز فنّ المعارضة والنقائص في
الشعر؛ وهو أن ينظم شاعر قصيدة
على نفس الوزن والقافية التي نظم
عليها شاعر قبله معاصر أو سابق،
ويستخدم تعابيره وصوره الشعرية إلى
حد كبير ليظهر براعته. والفرق بين

ونقائضهما خالدة في الأدب العربي. وقد كان الاهتمام منصبا إلى حد كبير على الشعر لأنه كان أهم صنوف الأدب العربي، يتلوه إلى حد ما فن الخطابة المرتجلة الذي شهد شيئا شبيها بالمعارضات، ولكن لم يكن الأمر ظاهرة كما كانت ظاهرة المعارضات والنقائض.

أما المعارضة النثرية، فلم يشهدها الأدب العربي من قبل، وكان المسيح الموعود ﷺ بحق رائدها ومجددها بلا منازع. فقد ضمّن

كتبه العربية تعابير من الحريري والهمذاني، واستطاع بكل اقتدار أن يوظفها توظيفاً رائعاً لتقديم المعاني والمعارف

الدينية العميقة، وأخرجها من إطارها العايب اللاهني الذي وضعت من أجله. وهذا الفن بحق يستحق أن يُدرس دراسة مستوفية من الباحثين ليصبح نموذجاً يحتذى، علماً أنه ليس فناً سهلاً ولا يقدر عليه إلا من أعطي بسطة في علم العربية وأساليبها ومفرداتها وتعابيرها وصورها، وهذا ما تيسر للمسيح الموعود ﷺ الذي علّمه الله تعالى أربعين ألفاً من هذه الجوانب في العربية والتي تُسمى اصطلاحاً بـ «لغات».

وقد تحدى المسيح الموعود ﷺ معارضيه ليأتوا بمثل ما أتى، وأن يضمّنوا أذبحهم هذا الفن، ولكنهم وقفوا عاجزين، وفرّوا من خزيم لعدم قدرتهم على مجاراته بالادعاء أن هذا الفن الذي استخدمت فيه تعابير ومفردات وردت في أدب سابق على أنه «سرقة»! وبذلك فقد أعلنوا عجزهم وحاولوا التغطية على هذا العجز بإثارة هذه التهمة السخيفة، مع أن هذا الفن ليس إلا فرعاً للفن

هذه الابتكارات التي سيطلع عليها الباحثون المنصفون يوماً وتصبح فروعاً من الأدب العربي تدرّس في الجامعات، وسيعترف العالم بهذا التجديد اللغوي العظيم الذي لم يخطر ببال أحد من العرب من قبل.

الأصلي الذي هو فنّ المعارضات والنقائض الشعرية، ولو صحّ نسبة هذا الفن إلى السرقة لكان أولى أن توصف به المعارضات والنقائض، وهذا ما لا يقول به عاقل. علماً أن حضرته ﷺ قد مارس فن النقائض مع بعض شعر الحريري ومارس المعارضة وخاصة مع الخليفة الأول نور الدين القرشي في قصيدة في كتاب كرامات الصادقين وأثبت براعته في هذا الفن أيضاً. واليوم، ما زالت أعماله في كتبه العربية معروضة والتحدي الذي فيها مطروحا

ليقوم من استطاع بما قام به حضرته ويأتي بمضامين ومعانٍ كالتّي أتى بها، ولكن لم يستطع أحد من معارضيه الذين عاصروه وإلى اليوم أن يأتوا بشيء من هذا أو حتى أن يحاولوا، وبذلك ثبت طول باعه وعلو كعبه، وثبت صدقه أيضاً؛ إذ إن هذه القدرة الإعجازية إنما هي آية ربانية من آياته الكثيرة التي أعطاه الله تعالى إياها.

واليوم، ما زال بعض السفهاء يجترؤون أسلوب الفرار المهزومين الذين فرّوا من وجه حضرته، ويدعون بكل

سخف وبذاءة بأن حضرته قد سرق من الحريري أو الهمذاني أو الشعر الجاهلي، وهم عاجزون عن أن يأتوا بسطر واحد يضاها ما قدمه حضرته ﷺ. وبذلك فإن هؤلاء يقدمون بخزيمهم وانهمامهم وعجزهم - مع رفع عقيرتهم بالانتهامات السخيفة - صورة متجددة لهذه الآية، ويلفتون الانتباه دون قصد أو وعي منهم إلى هذه الإبداعات والابتكارات التي أتى بها حضرته؛ هذه الابتكارات التي سيطلع عليها الباحثون المنصفون يوماً وتصبح فروعاً من الأدب العربي تدرّس في الجامعات، وسيعترف العالم بهذا التجديد اللغوي العظيم الذي لم يخطر ببال أحد من العرب من قبل.